الأهمية العلمية للاشتغال على التراث الشعبي

فاطمة الزهراء بكوش
جامعة ابن طفيل القنيطرة/كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
fbekkouche94@gmail.com

منذ ظهوره على سطح الأرض، شكل الإنسان لنفسه خصوصية متفردة عن باقي الكائنات الحية الأخرى، انطلاقا من خلقه للغة للتواصل، ثم تأصيله لثقافة مميزة بقيم وسلوكات ومعايير مضبوطة. ومع تطور الإنسان وظهور الحضارات، سيعرف مفهوم الثقافة عدة تقسيمات، أشهرها ما ينطلق أساسا من ثنائية المادي والرمزي، وثنائية الشعبي والرسمي. ورغم التأثير والتأثر المستمر بين هذه التقسيمات، وعدم تبين حدودها بوضوح أحيانا كثيرة، فإن العمل بها ظل قائما من طرف العديد من الباحثين والدراسات العلمية، بل وتولدت عنها مفاهيم جديدة على رأسها الفولكلور والتراث الشعبي وهو موضوعنا اليوم.

ولقراءة وتحليل هذا المفهوم حددنا سؤالين رئيسيين سنحاول الإجابة عنهما:

- أولا: ماذا نقصد بمفهوم التراث الشعبي؟
- تانيا: أين تكمن أهمية الاشتغال العلمي على التراث الشعبي؟

وقد تمخض عن هذين السؤالين، أسئلة فرعية جديدة، وهي أولا: ماذا نقصد بمفهومي "التراث" و "التراث الشعبي"؟ ثانيا: ما العلاقة بين مفهوم "التراث الشعبي" ومفهوم "الفلكلور"؟ ثالثا: أين تتجلى أهمية وضع التراث الشعبي موضع التساؤل والبحث والدراسة الأكاديمية الصارمة المنضبطة لشروط البحث العلمي على المستوى العالمي وعلى المستوى المحلي؟

أولا: ماذا نقصد بالتراث الشعبي؟

إن أول صعوبة تواجه الباحث في مجال الاشتغال على التراث الشعبي، هي التداخل الكبير بين المفاهيم المؤسسة لهذا الفرع من المعرفة العلمية، كمفهوم التراث المادي واللامادي، الثقافة الشعبية والثقافة الرسمية، المأثورات الشعبية والفلكلور، وغيرها من المفاهيم والمصطلحات، و يعود هذا الاختلاف لعدة

أسباب منها ما يرجع إلى اختلاف الترجمات المقدمة من طرف الباحثين العرب لهذه المفاهيم؛ فعلى سبيل المثال يعتمد أهل الشرق وعلى رأسهم محمد الجوهري تعبير "المأثورات الشعبية" ترجمة لكلمة "فلكلور" بينما يعتمد المغاربة تعبير "التراث الشعبي" ترجمة للكلمة نفسها. ومن الاختلافات ما يرجع لاختلاف مرجعية المدارس التي تناولت المفهوم (تناول درسة فرانكفوني أو أنجلوسكسوني). وهناك اختلاف يعود للتغيرات المرتبطة بعامل الزمن؛ فهذه المفاهيم والمصطلحات غير ثابتة بل ديناميكية مرتبطة بتطور المجتمعات، وبالتالي فإنها تتطور بشكل مستمر، وتدخل عليها تغيرات مع التطور السوسيوثقافي الذي تشهده المجتمعات.

وحتى نضع هذا المقال في اطاره البحثي، سنقدم التعريف اللغوي والاصطلاحي الذي نعتمده في معالجتنا لهذه المصطلحات في هذا السياق، واستبعاد أي لبس لدى القارئ.

مفهوم التراث الشعبي:

يتكون هذا المفهوم من كلمتين هما: التراث والشعبي ولكي نفهم المقصود منه لابد وأن نحدد المعنى الذي تنطوي عليه كل منهما.

أ. تراث:

التراث لغة كما يعرفه ابن منظور كلمة "مؤخوذة من فعل ورث، وورث: الوارث : صفة من صفات الله – عز وجل – ، وهو الباقي الدائم الذي يرث الخلائق ، ويبقى بعد فنائهم. الجوهري : الميراث أصله موراث ، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها، والتراث أصل التاء فيه واو. ابن سيده :والورث والتراث والميراث : ما ورث. التراث : ما يخلفه الرجل لورثته ، والتاء فيه بدل من الواو". وما نخلص به من هذا التعريف أن التراث لغة يقصد به كل ما يورث.

أما اصطلاحا فقد تعددت التعريفات التي قدمت لهذا المفهوم، وإن كانت تصب جميعها في وعاء واحد؛ فقد عرف د. يوسف محمد عبد الله التراث بقوله هو "شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور، يتناقل من جيل إلى آخر، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيًا ومتميزة بيئيًا، وتظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية ولكنه يحتفظ دائمًا بوحدة أساسية مستمرة"[١].

ويعرف التراث أيضا بأنه " مجموع ما خلفته قرائح الأقدمين وصفوة الأسلاف من فكر وعلم وفن ونمط عيش وفنون وحضارة مما يمكن لجيلها الحالي الإفادة منه، والاستعانة به على حل ما يواجه من المشكلات والتحديات...إنه كل ما أفرزه الماضي من إفرازات، ضارة ونافعة، سامة

وسليمة، لا يزال لها أثرها الفعال في مسلكنا ومعتقداتنا وأسلوب معيشتنا ونظرتنا إلى الحياة، منها ما يجدر بنا التمسك به وتنميته، ومنها ما ينبغي علينا محاولة استئصاله، أو الحد قدر الإمكان من نطاق سلبياته"[٢].

والتراث بمفهومه الواسع هو الذاكرة الحية للفرد والمجتمع التي بها يمكن معرفة هذا الفرد وهذا المجتمع ويتم التعرف على هويته وانتماءه إلى شعب من الشعوب وحضارة من الحضارات[٣].

ب. شعب:

لغة: تعرف كلمة شعب في لسان العرب بأنها: الجمع والتفريق والإصلاح والإفساد : ضد . وفي حديث ابن عمر :وشعب صغير من شعب كبير أي صلاح قليل من فساد كثير. شعبه يشعبه شعبا فانشعب وشعبه فتشعب ؛ وأنشد أبو عبيد لعلي بن غدير الغنوي في الشعب بمعنى التفريق : وإذا رأيت المرء يشعب أمره شعب العصا ويلج في العصيان.

أما اصطلاحا فقد وقفت نبيلة إبراهيم على تعريف مصطلح الشعب عند تعريفها للتراث الشّعبي، فقالت: "عندما نتحدث عن شعب ما فإنّنا نعني كل فرد من أفراده مهما كانت درجة ثقافته ومهما كان مستواهم الاجتماعي"[٤]، ومعناه هنا أن الشعب تستعمل للدلالة على كل أفراد الشعب بمختلف تكويناتهم وطبقاتهم الاجتماعية، إنهم كما ذهب إلى ذلك ألان دندس مجموعة من الناس تشترك في عامل واحد مشترك على الأقل[٥]. والغرض من هذا التعريف نفي كل ما كان ينسب للتراث الشعبي في الماضي من تعاريف خاطئة تربطه بطبقة اجتماعية واحدة وهي الطبقة العاملة أو طبقة الفلاحين أو الطبقات الدنيا من المجتمع . أو التعاريف القدحية التي كانت ترى فيه ذلك الكل المركب من الظواهر السيكولوجية للإنسان غير المتحضر أو المتوحش، كما ذهب إلى ذلك سيدني هارتلاند[٦].

وانطلاقا مما سبق نستطيع تقديم تعريف بسيطا للتراث الشعبي بأنه تلك التجربة التي خاضها شعب من الشعوب بمختلف مكوناته وطبقاته وفئاته، وهي نابعة عن تاريخه الطويل من التأثير والتأثر المتبادل بينه وبين الطبيعة والمجتمعات المجاورة، إنها تجربة ذاتية خاصة تحمل هوية ونمط وأسلوب عيش وتفكير متوارث جيل عبر جيل، بحيث تحتفظ بجوهرها عبر كل انتقال. إذا فأهم خصائص التراث الشعبي هي الذاتية والتوارث والشعبية أي ينتجه عموم الشعب وينتقل بأساليب يمكن أن نقول عنها فطرية(التقليد) بحيث لا تتدخل الوسائل أو المؤسسات الرسمية للدولة وعلى رأسها المدرسة في إعادة

إنتاجه ونقله للأجيال الصاعدة، ولا تتم عملية إنتاجه أو إعادة إنتاجه وفق خطط استراتيجية مدروسة من قبل، وهو ما يجعله مختلفا عن التراث الرسمي، كما أن من مميزات التراث الشعبي في شقه اللامادي استعماله للغة المحلية (الدارجة) وانتقاله بشكل شفهي غير مدون.

ويمكن أن نضيف في هذا الإطار التعريف الذي قدمه كل من د. يوسف محمد عبد الله و د. أحمد مرسي للتراث الشعبي؛ بحيث يعرفه الأول بأنه " مجموعة واسعة من المأثورات والفنون الشعبية التي أبدعها الشعب بجميع فئاته وطبقاته على امتداد الوطن، وتشمل كل ما مارسه الشعب من شعائر وطقوس ومراسم، وماله من معتقدات، وما صدر عنه من عادات وتقاليد وأشكال ثقافية، عقلية ومادية خاصة، تمثل تفاعله مع الكون وحكمته وإبداعاته المختلفة على مر العصور، مثل اللغة المحلية والموسيقى والأشعار والأهازيج والأزجال والرقص والحكايات والسير والملاحم والأغاني والأمثال السائرة ، وكذلك الحلي والصناعات والتطبيب الشعبي والحِرَف بما فيها فن العمارة والأزياء وغيره ، مما عبَّر به الحس الجماعي وتواتر عبر الأجيال حتى وصل إلى الحاضر"[٧] . أما الثاني فقد عرفه بأنه "مجموعة العادات والتقاليد والأدب والفنون والحرف والمهارات وشتى المعارف الشعبية التي أبدعها وصاغها المجتمع عبر تجاربه الطويلة، والتي يتداولها أفراد ويتعلمونها بطريقة عفوية، ويلتزمون بها في سلوكهم وتعاملهم، وهو بذلك يشكل هوية المجتمع وشخصيته الحضارية"[٨].

وبعد تقديمنا لتعريف التراث الشعبي يطرح أمامنا سؤال جديد في غاية الأهمية ألا وهو: ماهي طبيعة العلاقة التي تربط مفهوم التراث الشعبي بمفهوم الفلكلور؟

لقد ظلت الإجابة عن هذا السؤال مضطربة ومشوشة لدى الكثيرين حتى المشتغلين منهم داخل هذا الحقل، ويعود هذا الأمر للتعاريف المختلفة المقدمة لمصطلح الفلكلور، والتي ما فتئت تسير بين قطبين اثنين، الأول يعتبر الفلكلور علما وحقلا من داخل العلوم الإنسانية مهمته دراسة نوع معين من الثقافة والتراث، كما ذهب إلى ذلك أول من صاغ هذا المفهوم وهو ويليام جون تومز بحيث عرفه بأنه "العلم الذي يدرس العادات، والتقاليد، والممارسات، والخرافات، والملاحم، والأمثال، الخ ...للأزمة القديمة"[٩]. أما الثاني فيعتبره ذلك الجزء من الثقافة أو التراث الذي يقوم الفلكلور(كعلم) بدراسته وهو ما اعتمدته توصية صون الثقافة والفلكلور التقليديين ل ١٥ نونبر ١٩٨٩ في تعريفها حيث تقول "الفولكلور (أو الثقافة التقليدية أو الشعبية) هو مجموع الإبداعات القائمة على التقاليد لجماعة ثقافية معينة، التي تعبر عنها مجموعة أو أفراد ويجري التسليم بها على أنها تبين توقعات جماعة ما من حيث توضيحها لهويتها الثقافية أو

الاجتماعية؛ ويجري نقل معاييره وقيمه شفويا، عن طريق التقليد أو بوسائل أخرى. وتتمثل أشكاله في جملة أمور منها اللغة، والأدب، والموسيقى، والرقص، والألعاب، والأساطير، والطقوس، والعادات، والحرف اليدوية، والهندسة المعمارية، وفنون أخرى". كما يتفق مع هذا الطرح الأنتربولوجي الأمريكي وليام باسكوم حيث يقول:" الفولكلور بالنسبة لعالم الإنثربولوجيا هو جزء من الثقافة جميعها، ويضم الخرافات والأساطير والقصص والأمثال والحزازير ونصوص الملاحم والأغاني وصيغ أخرى"[١٠].

ويعتمد هذا التحديد العديد من الباحثين الشرقيين أمثال محمد الجوهري و أحمد علي مرسي الذي يوضح دلالة كلمة فلكلور كما يلي: "الفلكلور هو الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الجمعية التي يعبر بها الشعب عن نفسه، سواء استخدمت الكلمة أو الحركة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة بسيطة"[١١].

وهكذا يمكن أن نقول بأن علاقة الفلكلور بمفهوم التراث الشعبي هي إما علاقة تطابق؛ بحيث تترجم كلمة فلكلور إلى كلمة تراث شعبي، أو علاقة علم بحقل دراسته؛ فالعلم هو الفلكلور والمادة المدروسة هي التراث الشعبي.

تانيا: أين تكمن أهمية الاشتغال العلمي على التراث الشعبي؟

يحتل التراث الشعبي باعتباره عمود من الأعمدة المؤسسة لهوية أي مجتمع من المجتمعات، أهمية علمية قصوى. وقد فطنت لهذه الأهمية العديد من المجتمعات الأوربية فأولته مرتبة بحث عالية، خاصة بعد ظهور الحركات الرومانسية والقومية التي أعادت الاعتبار له وطالبت بالبحث والتنقيب فيه واعتماده كأداة من أدوات الدفاع عن الهوية القومية.

ونظرا لما له من أهمية على مختلف الأصعدة، حثت العديد من الاتفاقيات الدولية على ضرورة الاهتمام والحفاظ عليه واعتماد خطط استراتيجية تضع ضمن أولوياتها التراث كأداة من أدوات تحقيق التنمية الحقيقة. ونذكر هنا بعضا من هذه الاتفاقيات وأهم ما نصت عليه.

- إعلان هانغدجو ٢٠١٣:

أكد هذا الإعلان على دور الثقافة كعامل مساعد وحافز للتنمية المستدامة، ودعى إلى إدراج هدف محدد يركز على الثقافة كجزء من خطة التنمية للأمم المتحدة لما بعد عام

٢٠١٢ ،ويقوم على التراث، والتنوع،والإبداع، ونشر المعارف، ويتضمن غايات ومؤشرات محددة تربط بين الثقافة وجميع أبعاد التنمية المستدامة.

- اتفاقية ٢٠٠٣ لحماية التراث اللامادي:

وهي اتفاقية تسلم بأهمية التراث الثقافي غير المادي كدعامة للتنوع الثقافي وضمان للتنمية المستدامة،

وقد شجعت وسائل الإعلام على "... الإسهام في التوعية بأهمية التراث الثقافي غير المادي باعتباره وسيلة لدعم التماسك الاجتماعي والتنمية المستدامة ومنع المنازعات، مفضلة ذلك على التركيز فقط على جوانبه الجمالية والترويحية... "

- توصية صون الثقافة والفلكلور التقليديين ل ١٥ نونبر ١٩٨٩:

أكدت هذه التوصية على أهمية صون التراث الثقافي غير المادي بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة.

وفي إطار الحديث عن أهمية الاشتغال على التراث يقول د. الرفاعي عبد الجبار "يعبرالتراث عن الأمة وهويتها، بل هو خير معبر عنها، لأنّه جزء منها، فكلّ تراث هو جزء من الأمة التي أنجزته، فلا يمكن أن تؤسس أية أمة نهضتها على تراث آخر غير تراثها، لأن التراث يختزن إمكانات النهوض والإبداع في حياة الأمة، وهو زادها التاريخي.فالنهضة يحتضنها تراث الأمة ويغنيها فالتّراث ليس أمراً ساكناً ميتاً أفرزته هزائم الأمة وانكساراتها التاريخية، وإنّما هو تلك الحيوية، والفاعلية المتدفقة في وجدان الأمة[١٢]"

إذا كانت هذه هي أهمية التراث الشعبي في حد ذاته فما هي أهمية البحث العلمي الأكاديمي عليه؟

إذا ما أردنا تحديد بعض بواطن هذه الأهمية يمكن أن نقسمها إلى قسمين أساسين: ما هو عالمي مشترك بين جميع المجتمعات الإنسانية وما هو محلي يخص المجتمع المغربي في حد ذاته.

I. الأهمية العالمية:

نقصد بالأهمية العالمية تلك الأهمية التي يحتلها البحث العلمي في مجال التراث لدى جميع المجتمعات وهي بالتالي أهمية مشتركة، ومن بينها نجد:

أولا: تحقيق التوازن بين القيم المادية والقيم الأخلاقية الإنسانية

إن الوثيرة السريعة للتحضر والتي عرفتها معظم دول العالم منذ الثورة الصناعية، أدت إلى خلق عالم تحكمه قيم الرأسمالية والسعي نحو الربح المادي بشتى الوسائل الممكنة، وكذا إنتاج وإعادة إنتاج مجتمع مليء بالذاتية، النفعية،الفردانية والمجهولية. لذلك فإعادة الاعتبار للإرث الشعبي والثقافة الشعبية بصفة عامة عبر البحث العلمي الرصين الذي يؤثر على حياة المجتمعات ومستقبلها، سيكون وسيلة فعالة لإحياء ما يعج به الإرث الشعبي من القيم الأخلاقية والإنسانية النبيلة والعميقة الدلالة لدى الأفراد، وبالتالي تحقيق التوازن الضروري بين المادي والأخلاقي.

ثانيا: فهم أوسع وأعمق للفكر البشري وللمجتمعات من أجل تحقيق التعاون المشترك

فلما كان التواصل مفتاح التقارب والتشارك والتعاون بين المجتمعات الإنسانية، كان للفهم ذات الأهمية، على اعتبار أنه باب تحقيق التواصل البناء بينها، فدراسة تاريخ المجتمعات والترسبات الاجتماعية والثقافية التي يعبر عنها بكل صدق إرثها الشعبي لهو أفضل السبل نحو فهمها ووضع خطط تعاون وتشارك ملائمة معها، إذا فالبحوث العلمية والأكاديمية في هذا الميدان يجب أن تستخدم في رقعة أوسع بربطها بما هو اقتصادي سياسي دولي وليس فقط محلي.

ثالثا: سبيل لتمثل الوحدة في قلب التنوع والتنوع داخل الوحدة.

من بين أسمى ما سيحققه البحث في التراث الشعبي لدى مختلف مجتمعات العالم، لهو الوصول إلى قاعدة "الكل واحد رغم الاختلافات الظاهرة"، حيث ستنكشف بفضول مختلف مناهج البحث وعلى رئسها المنهج الأنتروبلوجي تلك المبادئ والقيم الإنسانية المشتركة التي تعبر عنها الطقوس والعادات والتقاليد المتباينة في الظاهر لكن صلبها وأعماقها موحدة، ويظهر ذلك الخيط الرفيع الذي يوحد جميع المجتمعات. فالصور التعبيرية تختلف لكن القيم والمبادئ التي تسعى نحو التعبير عنها موحدة. وبالتالي نستطيع الخروج من أزمة ثنائية المتحضر والبدائي وكذا أزمات العنصرية بين الشعوب.

رابعا: التراث الشعبي سبيل لإثبات الذات

في إطار ما يشهده العالم من عولمة للقيم الرأسمالية والثقافة الأمريكية، وتراجع الاهتمام بثقافات الشعوب العالمية الأخرى، يشكل البحث العلمي في التراث الشعبي للمجتمعات المقصية وسيلة لها نحو إثبات ما تزخر به من عوالم ثقافية شعبية تراثية متميزة وذات صبغة ذاتية أصيلة. وبدل أن يظل هذا التراث شفهيا منعزلا ومحدود رقعة الانتشار، فإنه بالبحث العلمي سيدون ويوثق ويرقمن وينتشر ليحقق الإشعاعية ويعرف بالخصوصية المحلية للمجتمعات ويحميها من الذوبان في الأخر.فقد "أن الأوان للشعوب ذات التراث والهوية الأصيلة أن تدخل سوق التباهي من أوسع أبوابه"[١٣]

II. أهمية محلية (تخص المجتمع المغربي):

بالإضافة إلى النقاط التي سبق ذكرها فهناك أهمية محلية لدراسة التراث الشعبي أي ترتبط بما هو مغربي، وتتعدد هذه أهمية بتعدد وتنوع هذا التراث، وإنه لمن الصعب ضبطها جميعا، لدى سنقتصر على بعض النقاط التي تتجلى من خلالها هذه الأهمية.

أولا: الحفاظ على الهوية الثقافية المغربية

لم يأتي تأكيد الدكتور عبد الكبير الخطيبي[١٤] على ضرورة البحث العلمي الأكاديمي في التراث المغربي وتدريسه في الجامعات عبثا، بل إنه نابع من إيمانه بأنه الوسيلة المثالية للحفاظ عليه من الاندثار وبالتالي الحفاظ على أصالة الهوية المغربية، فلا يكفي أن نعرض التراث في المتاحف لنحافظ عليه، أونقزمه في المواسم والمهرجانات مما يؤدي إلى "فلكلرته" (الفلكلور هنا ليس بمعناها العلمي) بل ينبغي أن ينتقل جيل بعد جيل عبر تحويله إلى مواد علمية للطلبة والتلاميذ وأهداف معرفية للباحثين.

ثانيا: المساهمة الفعالة في تحقيق التنمية المحلية المستدامة

إن الشرط الأساسي لنجاح وديمومة أي برنامج تنموي هو اتخاذه "للإنسان" مركزا لاشتغاله، عبر فهمه واستيعاب بواطن أفكاره وطموحاته وقيمه وتاريخه الذي يؤثر على حاضره ومستقبله. ولم يكن عبثا أن اختارت السياسة الكولونيالية تعبئة باحثين من تخصصات مختلفة على رأسها الاثنوغرافيا والأنتروبلوجيا للقيام بمرحلة استكشافية لاستجلاء الخصائص الثقافية والإرث الشعبي

لهذه المجتمعات، فقد أدركت أن الفهم الحقيقي للإنسان المغربي واستيعاب عواطفه وميولاته والميكانيزمات المتحكمة في صناعة قراراته، عنوانه النبش في تاريخه وإرثه الثقافي. إذا فالبحث في الإرث الشعبي المغربي مهم لفهم المجتمعات المحلية وبالتالي تصميم مشاريع تنموية مناسبة لها تنطلق من واقعها المعيش وليست فقط برامج فوقية مسقطة عليها.

ويقول في هذا الإطار الأستاذ محمد اديوان "وما الاهتمام العلمي الذي أبدته الدوائر الاستعمارية في مطلع القرن العشرين وقبيل ذلك بتراث الشعوب المستضعفة والمهمشة، إلا دليل قاطع على أن دراسة التراث والعادات والتقاليد بوابة صالحة للكشف عن أسرار الأمم وأصولها العقلية والدينية والحضارية، وعندما تكتمل هذه المعرفة للمستعمر تكون الشعوب فرائس مستساغة يركز المستعمر على نقاط ضعفها تارة ويضرب على أوتارها الحساسة تارة أخرى "[١٥]

ثالثا: سبيل للخروج من دائرة الحزازات العرقية الضيقة

عرف المجتمع المغربي بتعدد هويته الثقافية منذ القدم، إذ تتأسس قاعدة إرثه الشعبي على أربعة روافد رئيسية وهي:الأمازيغية، اليهودية، العربية والحسانية، وهذه الازدواجية أوالتعددية شكلت ولازالت تشكل في محطات معينة خلافات عرقية بين المغاربة باختلاف روافدهم، لكن باعتماد منهج الدراسة العلمية للتراث الشعبي، سيستقر في نفوس المغاربة أن رغم جميع الاختلافات الظاهرة، فإن هناك ما هو مشترك ويوحدهم جميعا، بل إن هذا الاختلاف هو بالضبط سر تميز هويتهم ويجب الحفاظ عليه.

رابعا: البحث العلمي في التراث الشعبي سبيل نحو تحقيق التقدم والازدهار

كما سبق الذكر فالمجتمع المغربي مجتمع متعدد الروافد الثقافية وهو ما يطرح معه ضرورة الاهتمام بتراثه الشعبي بشكل جملي غير تجزيئي ، لأن طمس أي لغة أو لهجة أو إرث شعبي لواحدة أو أكثر من روافده الثقافية، هو في الحقيقة خسارة للمجتمع ككل لأنه يقتل معه طاقات وقدرات أفراد تلك الجماعات ويقصيهم من المشاركة في تنمية وتطوير المجتمع "فإنكار الواقع يؤدي إلى التخلف وإلى هشاشة الصورة التي نرسمها لأنفسنا"[١٦]. لدى فإن البحوث المكثفة في هذا المجال سبيل نحو إظهار الصورة الحقيقة للنسيج المجتمعي المغربي وإثارة انتباه الجهات الرسمية والمجتمع المدني إلى تلك الثقافات المنسية والمهجورة.

وهكذا نكون قد قدمنا وبشكل مبسط تعريفا لمفهوم التراث الشعبي، وبعض نقاط الأهمية التي ينطوي عليها سواء في ذاته أو في البحث العلمي عليه. لكن وقبل أن نختم لابد وأن نشير إلى أن الحفاظ على كنوز التراث الشعبي المغربي لن يعرف النور إلا بإعادة الاعتبار إليه والإيمان بقيمته الرمزية والمعرفية، ولكي يتم هذا بشكل سليم وغير مسقط، لابد وأن نعالج المشكل من منابعه الأصلية وهي الأسرة أولا ثم الإعلام والمناهج الدراسية ثانيا، والتي تعيد إنتاج مجتمع لا يؤمن بقيمة موروثه الثقافي الشعبي الغني والزاخر. ففي الوقت الذي تحاول فيه بكل جد دول متقدمة على رأسها كندا، روسيا وبريطانيا، استثمار تراثها الشعبي وإن كان بسيطا (مقارنة مع تراثنا الشعبي)، في شتى المجالات باعتماد تقنيات ووسائل جديدة في الرقمنة والعرض وتحقيق الإشعاعية، لازالنا نحن في المغرب ننظر إليه نظرة تحقيرية وتقزيمية.

لائحة البيبلوغرافيا:

لسان العرب لابن منظور

١. دراسة: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، د. يوسف محمد عبد الله متخصص في الآثار والنقوش ، جامعة صنعاء ص ٢
٢. شبكة النبأ المعلوماتية، مصطلحات ثقافية: التراث العدد ١٤٢٩ ، ١٢ من أبريل ٢٠٠٨
٣. التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ ، أشرف صالح محمد سيد، مؤسسة النور للثقافة والإعلام جائزة النور دورة المفكر عبد الله الصائغ ٢٠٠٩ ص ٥
٤. أشكال التعبير في الأدب الشّعبي. نبيلة إبراهيم، ط٣ .القاهرة. دار المعارف. ١٩٨٣ .ص١١
٥. لمأثورات الشعبية(الفلكلور) د. أحمد علي مرسي ص ٢٨
٦. مكنز التراث الشعبي المغربي، السعدية العزيزي، منشورات جمعية واد الحجاج للثقافة والتنمية، المغرب ٢٠٠٩ ص٢٠ بالتصرف
٧. دراسة: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، مرجع سابق ص ٧
٨. ماهية التراث الشعبي، أحمد مرسي، مجلة الفنون الشعبية، ص ١١
٩. دراسات في الثقافة والتراث والهوية، شريف كنعانة، مواطن المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية ،فلسطين ٢٠١١ ، ص ١١٧
١٠. جدل التراث والعصر الرفاعي، عبد الجبار. دار الفكر.٢٠٠١ .ص١٨،١٩
١١. الثقافة الشعبية المغربية(الذاكرة والمجال والمجتمع)، محمد أديوان، مطبعة سلمى الرباط ٢٠٠٢، ص ٧
١٢. جدل التراث والعصر: الرفاعي، عبد الجبار دار الفكر.٢٠٠١ .ص١٨،١٩
١٣. ثم تناول هذه النقطة من طرف الدكتور عبد الكبير الخطيبي في كتابه النقد المزدوج، ترجمة عز الدين الكتاني الإدريسي ، منشورات عكاظ ٢٠٠٠، ص ٢٣ -٢٤
١٤. الثقافة الشعبية المغربية ، مرجع سابق ص ٥ و ٦
١٥. النقد المزدوج، مرجع سابق ص ٢٣ -٢٤

الهوامش

[١] الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته، د. يوسف محمد عبد الله، جامعة صنعاء ص ٢

[٢] شبكة النبأ المعلوماتية، مصطلحات ثقافية، التراث العدد ١٤٢٩ ، ١٢ من أبريل ٢٠٠٨

[٣] التراث الحضاري في الوطن العربي أسباب الدمار والتلف وطرق الحفاظ ، أشرف صالح محمد سيد، مؤسسة النور للثقافة والإعلام ٢٠٠٩ ص ٥

[٤]نبياة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، مصر. دار المعارف. ١٩٨٣ .ص١١

[٥] أحمد علي مرسي؛ المأثورات الشعبية(الفلكلور) ص ٢٨

[٦] السعدية العزيزي، مكنز التراث الشعبي المغربي ، جمعية وادي الحجاج للثقافة والتنمية، المغرب ٢٠٠٩ ،ص٢٠ بالتصرف

يوسف محمد عبد الله، دراسة: الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميتهه، جامعة صنعاء ، ص٧ [٧]

[٨]أحمد مرسي، ماهية التراث الشعبي ، مجلة الفنون الشعبية، ص ١١

[٩]دراسات في الثقافة والتراث والهوية، شريف كنعانة، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية رام الله – فلسطين ٢٠١١ ، ص ١١٤

[١٠] دراسات في الثقافة والتراث والهوية مرجع سابق ص ١١٧

[١١]المأثورات الشعبية (الفلكلور) أحمد علي مرسي، مرجع سابق ص ٢٩

[١٢] جدل التراث والعصر: الرفاعي، عبد الجبار دار الفكر.٢٠٠١ .ص١٨،١٩

[١٣] الثقافة الشعبية المغربية(الذاكرة والمجال والمجتمع)، محمد أديوان، مطبعة سلمى الرباط ٢٠٠٢، ص ٧

[١٤]ثم تناول هذه النقطة من طرف الدكتور عبد الكبير الخطيبي في كتابه النقد المزدوج، ترجمة عز الدين الكتاني الإدريسي ، منشورات عكاظ ٢٠٠٠، ص ٢٣ -٢٤

[١٥] الثقافة الشعبية المغربية ، محمد أديوان، مرجع سابق ص ٥ و ٦

[١٦]عبد الكبير الخطيبي في كتابه النقد المزدوج، ترجمة عز الدين الكتاني الإدريسي ، منشورات عكاظ ٢٠٠٠، ص ٢٣ -٢٤